

الحركة النقدية في الأسواق العربية

الطالبة: بن عزوزي مريم
الأستاذة المشرفة: راضية بن عربية
جامعة حسيبة بن بوعلي - شلف
Meryem.benazouzzi@gmail.com

ملخص:

إنَّ الاهتمام بالشعر والشعراء له أثره في تشجيع النقد، لما بينهما من رابطة قوية، فكان من أهم البواعث التي أثَّرت في نشوئه، بواعث فردية تمثلت في الأفراد؛ أي في النقد الفردي الموجَّه من شاعر لآخر، أو من شخص إلى شاعر، وهي كذلك بواعث قبلية تمثلت في تعصُّب كل قبيلة لشاعرها، إضافة إلى أنها بواعث اجتماعية فرضها الواقع الاجتماعي لمجموعة القبائل، التي تكاد تجمعها عادات وتقاليد واحدة، ولا يغيب عن الذهن أنَّ تلك الحقبة كانت تتسم بالحروب والنزاعات التي كانت تحدث بين القبائل، ونظرا للأهمية الكبرى التي احتلها الشعر ومن ثمَّ الشاعر في نفوس العرب، كانت هذه الأخيرة تنتقي من شعرائها من تتوسَّم فيه الشاعرية الممتازة، إذ كانت تهتم بإعداد الشاعر أكثر منه من إعداد الخطيب أو القائد، والشعر الجاهلي كان إحساسا أكثر منه عقلا، وكذلك كان النقد والشاعر تستثيره الأحداث التي تقع في محيط حياته، فيندفع للتعبير عنها بعاطفته، وشعوره، والناقد في نقده يصغي إلى ما تمليه عليه عواطفه ومشاعره، وكان النقد عندهم فطري فلم يتجاوز إلى الناحية العقلية.

الكلمات المفتاحية: النقد، الشعر، الأدب، الأسواق العربية

Résumé

L'intérêt pour la poésie et les poètes ont un impact à la critique, en raison de leur forte association, il était des plus importantes motivations qui ont influencé son évolution, les émetteurs individuels représentés chez les individus, à savoir la critique individuelle du poète à l'autre, ou d'une personne au poète, qui est aussi un des émetteurs tribaux était l'intolérance chaque tribu du poète, ainsi que les préoccupations sociales imposées par la réalité sociale d'une des tribus du groupe, qui sont presque collectées par les coutumes et les traditions d'un, ne sont pas à l'esprit que cette époque a été marquée par des guerres et des conflits qui ont fait rage entre les tribus, et compte tenu de la grande importance occupée par les cheveux, puis le poète dans le cœur des Arabes, ceux-ci étaient seulement Lires choisir des poètes dont Ttasm excellente poétique, comme il était préoccupé par la préparation du poète plutôt que préparé Khatib ou chef, la poésie pré-islamique était un sens de plus que l'esprit, ainsi que la critique et poète événements Tsttarh qui se produisent à proximité de sa vie, Vindf les exprimer Batefth, et ses sentiments, et critique dans sa critique écouter ce qui est dicté par ses émotions et ses sentiments, et les critiques qu'ils ont un instinct de ne pas dépasser le mental

Mots-clés: critique, poésie, littérature, marchés arabes

1- حياة العرب العقلية قبل الإسلام:

إنَّ الحياة العقلية لأمة من الأمم تتحكم فيها عوامل داخلية وأخرى خارجية، فالعوامل الدّاخلية تتمثّل في طبيعة الحياة العامة لهذه الأمة بما فيها الاستقرار الذي يعدّ عاملاً رئيساً في تحضرها ونموها العقلي، أما العوامل الخارجية فتجلو في علاقة هذه الأمة بمن حولها من الأمم، عمق الأثر الذي تركته الحضارات الأخرى فيها، سواء أكان ذلك عن طريق الاتصال الخارجي بهذه الحضارات أو بواسطة وفودها عليها واحتضانها لها، وهذا التأثير الأجنبي خاضع لشروط معقّدة منها ما يتّصل بطبيعة الأمة المتأثرة، وما يسود فيها من قيم، وعادات ومعتقدات، ومنها ما يتّصل بطبيعة المؤثرات الأجنبية ذاتها، وبالأساليب التي سلكت في نقلها إلى أوساط أخرى¹.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن العرب قسّمان: عرب الشمال الذين يسمون بالعدنانيين أو النزاريين أو المعديين، وعرب الجنوب الذين أطلق عليهم الدماء اسم القحطايين أو اليمنيين، فبينما تحضّر الجنوبيون الذين عاشوا في كنف ممالك لها أنظمتها وملوكها، كان الشماليون في الحجاز ونجد يعيشون عيشة بدوية، عيشة قبائل متفرقة، ومتناثرة في صحراء تشتت بالجدب والقحط، فكانوا في الجملة بدوا رحلاً ينتقلون وراء مساقط الغيث، ومواضع العشب والكلأ².

وعلى الرغم من أن كل من الشماليين والجنوبيين كانوا يعيشون حياة مختلفة إلا أن الصلة بين هؤلاء لم تكن منقطعة، فكانت التجارة همزة وصل بينهما، غير أنّ حضارتهم هذه لم يكتبلها الكمال لأنها أصيبت بانتكاسة في صميمها، وهذا راجع إلى الحملات التي شنت على أهلها من طرف الرومان والأحباش في فترات متوالية، وفي مقام حديثنا عن التمدّن الذي شهدته حضارة الجنوبيين، لا يجب إغفال الحديث عن أهم جزء منها ألا وهو الرقي الفكري المتمثل في الشعر الذي جسّد وإلى حدّ كبير نوع الحياة التي كانوا يحيونها، وفي الأمثال والقصص، إلى جانب معرفتهم بالأنواء، والأخبار، وبشيء من طب تغلب عليه الأسطورة، أما الفلسفة والعلم بمفهومه الواسع والحقيقي فلا أثر له عندهم³، لكن هذا لا يعني أن العرب ظلوا ثابتين على عقلية واحدة في جميع أطوار حياتهم، فاحتكاكهم بالأمم المجاورة لهم قطعت شوطاً في الحضارة والرقي الفكري، ورغم ذلك الاختلاط بالأعاجم إلّا أن المتأمل في نتاج العرب الفكري عامة، والشعر العربي خاصة يرى بأن آثار هذه الحضارة فيه ضئيلة⁴.

2- النقد في العصر الجاهلي:

قبل الولوج في الحديث عن النقد الأدبي في العصر الجاهلي، لا بد لنا من أن نقف على من يقع عليه فعل النقد، ألا وهو النتاج الأدبي بوجه عام، والشعر بوجه خاص، الذي يمثل حياة العربي في الجاهلية، فهو ديوانهم، وعند التأريخ لهذا الجنس الأدبي نجده قدابتدئ ككلام مقفى، وغير موزون؛ أي ما يعرف بسجع الكهان، ثم تطوّر هذا السجع الخالي من الوزن إلى سجع موزون، ممثلاً في أبسط أوزانه ألا

وهو الرّجز، ومن هذا الأخير انفتح الطريق على مصراعيه أمام أوزان أخرى من أوزان الشعر، وكل وزن منها يوافق نوعا خاصا من الشعر، كموافقة وزن الطويل وطواعيته للشعر الحماسي، والفخري⁽⁵⁾.

ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام أنّ الشعر وحده هو كلّ أدب الجاهليين، وإنما بالقياس إلى نثرهم أكثر ما وصل إلينا من أدبه، وهذه الكثرة النسبية لا تنفي ضياع جزء من شعرهم، مع ما ضاع من نثرهم، وفي هذا الصدد قال أبو العلاء المعري: "ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلّا أقله، ولو جاءكم وافرا، لجاءكم علم وشعر كثير"⁽⁶⁾.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل على وجود نثر لكنه لم يصلنا كله.

ونظرا للأهمية الكبرى التي احتلها الشعر ومن ثمّ الشاعر في نفوس العرب، كانت هذه الأخيرة تنتقي من شعرائها من تتوسّم فيه الشاعرية الممتازة، إذ كانت تهتم بإعداد الشاعر أكثر منه من إعداد الخطيب أو القائد، وفي هذا يقول ابن الرشق في باب القبائل بشعرائها: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأته، وصنعت الأظعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذّبّ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج"⁽⁷⁾.

ويعني هذا أنّ للكلمة وقع في نفوس هؤلاء أكثر من وقع السهام عليها، لأن الشاعر كان يمدح قبيلته، إضافة إلى أنه كان يستخدم كلمته للنيل من العدو، وذلك بذكر مثالبهم في حلة فنية قوامها الوزن والقافية، فالكلام كما يقال عنه عنوان شخصية الإنسان، وترجمان أفكاره، ومستودع أسراره، وهذا الأمر ينطبق على الشاعر وقبيلته آنذاك.

إنّ فالشعر مرّ بضروب كثيرة من التهذيب حتى بلغ ذلك الإتقان الذي نجده عليه في أواخر العصر الجاهلي، وأول من وطأ متون الشعر في هذه الفترة هما: امرؤ القيس بن حجر ومهلل بن ربيعة⁽⁸⁾، يقول الجاحظ: "وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهّل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حجر، ومهلل بن ربيعة... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام"⁽⁹⁾.

فحين نضج هذا الشعر واكتملت له صورته الفنية، فتن العرب به فتراووه، وتذوقوه، وتغنّوا به، ونظروا إليه تلك النظرة التي تلتئم وحياتهم وطبيعتهم، فأعلنوا استحسانهم لما استجادوا واستهجانهم لما استقبحوا في عبارات موجزة، وأحكام سريعة، ومن هنا وجد النقد الأدبي في الجاهلية، الذي ولد مع مولد الشعر، ونشأ معه، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الشاعر ناقد بطبعه يفكر، ويقدر، ويختار، ولهذا كان أقدر من غيره على فهم الصنعة الشعرية، وعلى إدراك أسرار القبح والجمال⁽¹⁰⁾، إذن يمن القول بأن الناقد الأول ظهر إلى الوجود بعد الشاعر الأول، وإذا كانت أوليات الشعر العربي غير واضحة المعالم، فإن أوليات النقد الأدبي تبعا لذلك قد غابت عنا⁽¹¹⁾.

وبذلك يكون النقد الأدبي في لمصطلح الخاص، هو تقدير النص الأدبي تقديرا صحيحا وبيان قيمته في ذاته، ودرجته الأدبية بالنسبة إلى غيره من النصوص، على أن يكون ذلك مسندا إلى الفحص الدقيق، والموازنة العادلة، والتمييز المعتمد على المعرفة الصادقة، ليكون الحكم آنذاك قريبا من الصحة إلى حد ما⁽¹²⁾.

ومن خلال هذا التعريف للنقد الذي يتمثل في غربلة الأعمال الأدبية وتمييز جيدها عن رديئها، لا يختلف عن مفهومه في العصر الجاهلي، أما بالنسبة للمعايير التي يحتكم إليها الناقد، فسنرى فيما إذا كانت المعايير المقدمة في هذا التعريف، قد احتكم إليها الناقد الجاهلي أم لا.

3- بواعث نشوء النقد الأدبي عند العرب في الجاهلية:

إنَّ الاهتمام بالشعر والشعراء له أثره في تشجيع النقد، لما بينهما من رابطة قوية، فكان من أهم البواعث التي أثرت في نشوئه، بواعث فردية تمثلت في الأفراد؛ أي في النقد الفردي الموجه من شاعر لآخر، أو من شخص إلى شاعر، وهي كذلك بواعث قبلية تمثلت في تعصب كل قبيلة لشاعرها، إضافة إلى أنها بواعث اجتماعية فرضها الواقع الاجتماعي لمجموعة القبائل، التي تكاد تجمعها عادات وتقاليد واحدة، ولا يغيب عن الذهن أن تلك الحقبة كانت تتسم بالحروب والنزاعات التي كانت تحدث بين القبائل⁽¹³⁾.

وللبينة الجاهلية أثرها في نشوء النقد، فالمجتمع القبلي بعاداته وتقاليده القبلية، ينشط العداء بين القبائل، فيصبح الهجاء والفخر عاملين أساسيين في نشاط النقد، إذ تقوم على المفاضلة والموازنة بين شعر الشعراء، وأي الشعراء أقوى، وأيه أكثر إيلا للخصم⁽¹⁴⁾.

والحياة الجاهلية اشتهرت بأسواقها وتجاريتها، ومجيء العرب إليها، مما كان له أثر كبير في موارد الرزق ومعيشة العرب، كتبادل السلع، والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، لذلك كانت لهم أسواق كثيرة، منها ما كانت ثابتة مع أيام السنة، ومنها ما كانت موسمية تعقد في مواسم معينة فإذا انتهى الموسم انفضت، وهذه جعلوها في أماكن متفرقة في أنحاء شبه الجزيرة حتى تتال كل بقعة نصيبها منها⁽¹⁵⁾.

وقد ذكر "الألوسي" كثيرا من هذه الأسواق ومواقيتها، فمما ذكره من هذه الأسواق: دومة الجندل، سوق هجر بالبحرين، سوق عمان، سوق المشقر، سوق سحار، سوق الشحر، سوق عدن أبين، سوق صنعاء، سوق ذي المجاز، سوق مجنة، وأخيرا سوق عكاظ، وهذه الأخيرة هي من أعظم أسواقهم، وعكاظ واد بين نخلة والطائف، وهو أقرب إلى الطائف، وكانت تقام أيام موسم الحج، وتحضرها كل القبائل⁽¹⁶⁾.

فهذه الأسواق بسطت الطريق أمام النقد في إيجاد مجال فسيح لنشاطه، فإضافة إلى أن هذه الأسواق كانت بمثابة عقد لمعاهدات، وإبرام لصفقات تجارية، فهي أيضا محافل أدبية عامة تزخر بألوان النشاط الأدبي¹⁷، فهي ملتقى الخطباء، وملتقى الشعراء، الذين كانوا يجتمعون كل سنة، ويتفاخرون بقبائلهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر، من أنه كان ينقد بعضهم بعضا من جميع النواحي⁽¹⁸⁾.

ولم تقتصر مفاخرات الشعراء الجاهليين ومنافساتهم، على الالتقاء في الأسواق والمجالس العامة فحسب، وإنما تعدّتها إلى المجالس الخاصة، ففي أواخر العصر الجاهلي، كان الشعراء بين الفينة والأخرى يلتقون في أفنية ملوك الحيرة، وعند الغساسنة، لينشدوا أشعارهم، ويحصلوا على الجوائز والهدايا، وهذا بدوره كان من أهم البواعث لنشوء النقد، لأن الشاعر كان يتعرّض لحملة نقدية من الملك والحاشية، ومن الحاضرين في المجلس، كما يتعرّض لنقد الشعراء الذين حضروا من كل صوب لينشدوا أشعارهم⁽¹⁹⁾.

4- الحركة النقدية في الأسواق العربية: (صور النقد في العصر الجاهلي):

إنّ المتتبع لحركة النقد الأدبي في العصر الجاهلي يجد أنّ ميادين نشاطه كانت تتمثل في المجالس الأدبية خاصة، وفي الأسواق العربية على وجه أخص، فكانت عكاظ من أهم الأسواق التي كان الشعراء والنقاد يقدون إليها، ومن أهم النقاد آنذاك نجد النابغة الذبياني، الذي كانت تضرب له قبة من آدم، فتأتيه الشعراء وتعرض عليه أشعارها⁽²⁰⁾، فكان مشهود له من معاصريه بالتفوق الشعري، والقدرة على تذوق الشعر ونقده، ومن المشاهد التي كانت بين النابغة والشعراء في عكاظ؛ حينما أنشده الأعشى:

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرَدُّ سُؤَالِي.

وَأُنْشَدَ حَسَّانُ:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرَّ يَلْمَعَنَّ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا.

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمَ بَنَا خَالَا وَأَكْرَمَ بَنَا ابْنِ مَا.

فقال له النابغة: أنت شاعر لولا أنك أقللت جفانك وأسيفك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت: يلمعن بالضحى، ولو قلت: ييرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح، وقلت: يقطرن من نجدة دما، فدلّلت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين لكان أكثر لانصباب الدم⁽²¹⁾.

فمن خلال هذه المشاهد يلاحظ بأن النقد كان عمليا يتصل بالجزئيات، ولا ينفك عنها إلا قليلا، فقد كان محوره البيت والعبارة، ولم ينظروا في الشعر والأدب نظرة عامة، إذن فهو نقد يحتكم إلى الذوق الفني المحض، فأما الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط، فذلك شيء غير موجود عندهم، لأن الجاهلي لم يعرف جمع التصحيح، وجمع التكسير، وجمع الكثرة، وجمع القلة، ولم يكن له عقل علمي يفرق بين هذه الأشياء⁽²²⁾.

وَأُنْشَدَتِ الْخَنْسَاءُ:

قَدْ بَعِينِيكَ أُمُّ بَالَعَيْنِ عَوَّارٍ أَمْ أَقْفَرْتُ مَذْخَلْتَ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارِ.

ومنها البيت المشهور:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمَ الْهَدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارِ.

فقال النابغة معجبا بقصيدة الخنساء: والله لولا أنَّ أبا البصير -الأعشى- أنشدني أنفا لقلت: إنك أشعر الجنَّ والإنس، فقام حسان فقال: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك، فقال له النابغة: يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول:

فإنَّك كالليل الذي هو مدركي
قال: فحنَّس حسان لقوله⁽²³⁾.

وإجمالاً يمكننا القول بأنَّ النقد في العصر الجاهلي، كان على صورتين، أولاهما تأثرية والثاني النقد الذي مبعثه الروية والأناة.

فالنقد التأثري نقصد به النقد الذي مبعثه الإحساس القائم على الذوق الفطري، فهذا النقد قائم على الإحساس بأثر الشعر في النفس، وعلى مقدار وقع الكلام عند النقد، فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفاً، والعربي يحس أثر الشعر إحساساً فطرياً، لا تعقيد فيه، ويتذوّقه جبلةً وطبعاً⁽²⁴⁾، والناظر في النصوص النقدية التي وردت في العصر الجاهلي، يلاحظ بأنَّ النقد الذاتي التأثري يأخذ عدّة اتجاهات وهي: النقد اللغوي، النقد المعنوي، النقد العروضي⁽²⁵⁾.

نستفتح بداية بالنقد اللغوي الذي يقوم على نقد الخطأ في الاستعمال اللغوي، فكان العربي على صلة وثيقة بأسرار لغته، يدرك بفطرته الدلالة الوضعية للكلمات، ومن الأمثلة التوضيحية على ذلك، ما روي عن أبي عبيدة قال: مرَّ المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه، فأنشدهم:

ألا أنعم صباحاً أيها الربيع وأسلم
فلمّا بلغ قوله:

وقد أتناسى الهم عند أدكاره
بناج عليه الصيعرية مكّدم

فقال له طرفة بن العبد: استنوق الجمل، لأن الصيعرية سمة في عنق الناقة لا البعير، فاستعملها المسيب خطأ في وصف الجمل، فأنكر عليه طرفة بعبارة ساخرة، معتمداً على حسه اللغوي في تخطئة الشاعر، الذي بعد عن الصواب في استعماله اللفظ⁽²⁶⁾.

ومن النقد اللغوي ما روي أن الأعشى أنشد قيس بن يعد مكرب، فقال:

ونبتت قيساً ولم أبله
كما زعموا خير أهل اليمن

فجنتك مرتاد ما خبروا
ولولا الذي خبروا لم ترن

فعابه قيس لما شاب معناه ولم ينفعه لإصلاحه البيت بقوله:

ونبتت قيساً ولم آته
على نأيه ساد أهل اليمن

فقيس استطاع أن يتنبّه إلى الخطأ، حين ذهب إلى سيادة قيس على أهل اليمن، كانت زعماً لا حقيقة، و"زعموا" كما يقولون مطية الكذب، وذلك لأن الدقة في فهم الألفاظ وفي استعمالها كان يتحراها كل عربي، والظاهر بأن هذا اللون كان قليلاً ونادراً⁽²⁷⁾.

فإذا كان العربي شديد الحساسية بلغته، ودقيق الإصاغة فيها، فإنه يدرك بفطرته كذلك أن اللغة أداة للتعبير عن إحساسه وذاته، وبذلك يجب أن تطابق لغته المعنى دون مبالغة أو غلو في ذلك، وهنا نتطرق إلى ثاني نوع من النقد وهو النقد المعنوي، ومن أمثلة ذلك ما عيب به المهلهل بن ربيعة في قوله:

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تفرع بالذكور

فوصف بأنه أكذب بيت قالته العرب، لأن منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام، وحجر هي اليمامة وبينهما مسافة أيام⁽²⁸⁾.

إضافة إلى هذه النقود التفت النقاد كذلك إلى الصورة الشعرية من حيث قدرة الشاعر أو عدم قدرته على أدائها، ومن ذلك خبر احتكام علقة بن عبده وامرؤ القيس إلى امرأته أم جندب في أيهما أشعر، فقال امرؤ القيس:

خليلي مرا بي على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فقال العلقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولميك حقا كل هذا الجنب²⁹

ثم أنشدها جميعا، فقالت لامرؤ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذاك؟ قالت لأنك قلت:

فلسوط ألهور وللساق درة ولزجر منه وقع أهوج منع

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك، وقال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الراح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، لم يضربه بسوط، ولا مره بساق، ولا زجره⁽³⁰⁾.

فأم جندب قد قامت بموازنة بين بين صورتين شعرتين: صورة فرس امرؤ القيس، الذي راح يزجره ويضربه، ويستحثه على العدو كي يدرك طريدته، وصورة فرس علقمة الذي أدرك طريدته وعلقمة ثان من عنانه، ولم يضربه بسوط، ولا مره بساق

ومن صور النقد الجاهلي الحكم على الشاعر جملة بوصف الطابع العام له، من ذلك ما روي أن بعض شعراء تميم اجتمعوا في مجلس شراب، وكان بيتهم الزبرقان، والمخبل السعدي وعبد بن الطبيب، وعمر بن الأهدم، وتذاكروا في الشعر والشعراء، وادّعى كل منهم أسبقية في الشعر، فقال المحكم ربيعة بن حذار الأسدي، أما عمرو فشعره برود يمانية تطوى وتنشر، أما الزبرقان، فكأنه أتى جزورا، قد نحرت فأخذ من أطايبها وخطه بغيره، وأما المخبل فشعره شهب من الله يلقيها على من يشاء من عباده، وأما عبده فشعره كمزاده أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء⁽³¹⁾.

فهذا لون من النقد يقوم على تذوق الروح العامة للشعر، وفيه يعطي الناقد انطباعه عن الشاعر جملة.

كذلك من صور نقدهم الحكم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة في الجودة بالقياس إلى غيرها، فقد كانوا يتخيرون قصائد بأعيانها، ويخلعون عليها ألقاباً تجمل رأي الناقد أو الحكم فيها، وفي هذا الصدد روى أبو عمرو الشيباني أن عمرو بن الحارث الغساني أشده علقمة بن عبده قصيدته:

طحا بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان المشيب.
وأنشده النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
وأنشده حسان قصيدته:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحوملي⁽³²⁾.
ففضل حسان عليهما ودعا قصيدته "البثارة" لأنها بترت غيرها من القصائد.

كما ذكر حماد الراوية أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه كان مقبولا، وما ردّوه كان مردودا، وذكر أن علقمة بن عبده لما أنشدتهم قصيدته:

هل ما علمت وما استودعت مكنوم
أم حبلها إذا نأتك اليوم مصروم

قالوا هذه "سمط الدهر"، فلما عاد وأنشدتهم قصيدته:

طحا بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب.
قالوا هاتان سمط الدهر⁽³³⁾.

ومن خلال ما سبق يستنتج بأن الحركة النقدية في العصر الجاهلي، عرفت نشاطا في أواخر العصر الجاهلي، وكانت الأسواق بمثابة المحافل الأدبية التي كانت تعرض فيها قصائد الشعراء، لتمييز جيدها من رديئها، وكان يحتكم الناقد في ذلك إلى معايير ساذجة تعتمد على الذوق الفطري كما قيل، ولكن من خلال هذه الأمثلة يتراءى لنا بأن النقد في العصر الجاهلي لم يكن معطلا، ولكن هذا لا يعني جهل الناقد باللغة، وإنما طبيعة العصر والبيئة حتماً عليه ذلك، لأن الناقد عندما أصدر هذا الحكم لأن كل من الشاعر والناقد يدركان سبب استحسان واستهجان ذلك النتاج الشعري.

خاتمة:

وفي الختام يمكننا القول بأن الشعر الجاهلي كان إحساساً أكثر منه عقلاً، وكذلك كان النقد والشاعر تستثيره الأحداث التي تقع في محيط حياته، فيندفع للتعبير عنها بعاطفته، وشعوره، والناقد في نقده يصغي إلى ما تمليه عليه عواطفه ومشاعره..

والواقع أن نقاد العرب في العصر الجاهلي قد وقفوا بالنقد عند هذا الحد البدائي الفطري، فلم يتجاوزوه إلى الناحية العقلية التحليلية.

ومن بين البيئات النقدية التي كانت تنشط فيها الأشعار وإلقاء الخطب، هي الأسواق العربية فكانت سوق أدبية و نقدية، يمارس في ها الشعر والنقد على حدّ سواء، وقد لاحظنا في ثنايا البحث، أن أهم ناقد هو النابغة الذبياني الذي كانت تقام له قبة حمراء من آدم، فكان هذا الأخير يصدر أحكاماً نقدية غير معلة، ربما لعلمه بأن كل منهما -الشاعر والناقد- يدرك علّة استهجان أو استحسان ذلك الشعر.

والحركة النقدية في العصر الجاهلي بلغت أوج عطائها في أواخره، لأن الشعر قد بلغ درجة الكمال وكذلك النقد، وبالتالي كانت الفترة الأخيرة فترة أخذ وعطاء، وفترة نشاط فكري ونقدي.

- ¹ - ينظر، هني عبد القادر: دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، الجزائر، ص: 03.
- ² - ينظر، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ط: 22، القاهرة، ص: 26، وينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، الجندي علي، دار غريب للطباعة والنشر، 1998، ص: 58، وينظر، هني عبد القادر: دراسات في النقد الأدبي عند العرب، ص: 04، وينظر، كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط: 05، القاهرة، ج: 01، ص: 41، 42.
- ³ - ينظر، طليمات غازي والأشقر وعرفان: تاريخ الأدب العربي، دار الإرشاد، ط: 01، 1992، دمشق، ص: 34.
- ⁴ - ينظر، هني عبد القادر: دراسات في النقد الأدبي عند العرب، ص: 06-08.
- ⁵ - ينظر، عتيق عبد العزيز: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، ط: 03، 1974، بيروت، ص: 14، 15.
- ⁶ - الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط: 03، 1985، الأردن، ص: 33.
- ⁷ - ابن الرشيقي القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: 05، 1981، سوريا، ج: 01، ص: 65.
- ⁸ - ينظر، إبراهيم مصطفى عبد الرحمن: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، 1998، القاهرة، ص: 27.
- ⁹ - الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط: 02، القاهرة، ج: 01، ص: 74.
- ¹⁰ - ينظر: المرجع السابق، ص: 27، 28.
- ¹¹ - ينظر، عتيق عبد العزيز: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 20.
- ¹² - حسين طه هند: النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الرشيد للنشر، 1981، العراق، ص: 21.
- ¹³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 51، 52.
- ¹⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 52.
- ¹⁵ - ينظر، الجندي علي: في تاريخ الأدب الجاهلي، ص: 59.
- ¹⁶ - ينظر، البستاني سليمان: نظرية الشعر، تقديم: محمد كامل الخطيب، منشورات وزارة الثقافة، ط: 03، 1996، دمشق، سوريا، ص: 109، 110، وينظر، الجندي علي: في تاريخ الأدب الجاهلي، ص: 59، 60.
- ¹⁷ - ينظر، الجويني مصطفى الصاوي: تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، 2000، الأزاريطة، ص: 12، وينظر، الجندي علي: في تاريخ الأدب الجاهلي، ص: 59.
- ¹⁸ - ينظر، الجويني مصطفى الصاوي: تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 12.
- ¹⁹ - ينظر، عتيق عبد العزيز: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 20، 21، وينظر، حسين طه هند: النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: 53.
- ²⁰ - ينظر، القرشي أبو زيد: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر، 1981، القاهرة، ص: 80.

- ²¹- ينظر، إبراهيم طه أحمد: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 24، وينظر، نظمي عبد البديع محمد: في النقد الأدبي، جامعة الأزهر، 1987، الإسكندرية، ص: 14، وينظر، خضر محمد: النقد الأدبي عند العرب، العلم والإيمان للنشر، 2008، ص: 28، وينظر، قصبجي عصام: أصول النقد العربي القديم، منشورات جامعة حلب، 1991، ص: 07.
- ²²- ينظر، شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، ط: 09، القاهرة، ص: 31، وينظر، سلام محمد زغول: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، 2002، الإسكندرية، ص: 04، وينظر، إبراهيم طه أحمد: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 24.
- ²³- ينظر، طه هند حسين: النظرية النقدية عند العرب، ص: 132.
- ²⁴- ينظر، طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 180.
- ²⁵- ينظر، إبراهيم مصطفى عبد الرحمن: في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص: 30، وينظر، إسماعيل عز الدين: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، 1992، القاهرة، ص: 172.
- ²⁶- ينظر، عتيق عبد العزيز: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 21، 22، وينظر، خضر محمد: النقد الأدبي عند العرب، ص: 35.
- ²⁷- ينظر، إبراهيم مصطفى عبد الرحمن: في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص: 32، وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، ص: 22.
- ²⁸- ابن الرشيقي القيرواني: العمد، ج: 02، ص: 62.
- ²⁹- ينظر، عتيق عبد العزيز: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 22.
- ³⁰- المرجع نفسه: ص: 23.
- ³¹- ينظر، شلبي سعد إسماعيل: الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، ط: 02، ص: 63.
- ³²- ينظر، عتيق عبد العزيز: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 26.
- ³³- ينظر، خضر محمد: النقد الأدبي عند العرب، ص: 31.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى عبد الرحمن: في النقد الأدبي القديم عند العرب: مكة للطباعة، القاهرة، 1998.
2. ابن الرشيقي القيرواني: العمد في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط 05، 1981.
3. الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط: 03، 1985.
4. البستاني سليمان، نظرية الشعر: تقديم: محمد كامل الخطيب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط: 03، 1996.
5. الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط 02.
6. الجويني مصطفى الصاوي، تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري: دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2000.

7. خضر محمد، النقد الأدبي عند العرب: العلم والإيمان للنشر، 2008.
8. زغلول سلام محمد: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002.
9. شلبي سعد إسماعيل: الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، ط 02.
10. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 22.
11. شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، ط 09، القاهرة.
12. طليمات غازي و الأشقر عرفان: تاريخ الأدب العربي، دار الإرشاد، دمشق، ط 01، 1992.
13. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
14. عتيق عبد العزيز: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، ط 03، 1974.
15. عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.
16. علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، 1998.
17. القرشي أبو زيد: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر، القاهرة، 1981.
18. القرشي أبو زيد: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر، 1981، القاهرة
19. قصبجي عصام ، أصول النقد العربي القديم: منشورات جامعة حلب، 1991.
20. كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط 05.
21. نظمي عبد البديع محمد، في النقد الأدبي: جامعة الأزهر، الإسكندرية، 1987.
22. هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري: دار الرشيد للنشر، العراق، 1981.
23. هني عبد القادر: دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995.